

الموازنة بين الشاعرين أحمد صابر وعبد الله جاتو من خلال قصيدتيهما في مدح أمير المؤمنين أبي بكر الثالث

إعداد

الدكتور سراج محمد صكتو ولولى يوسف
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية جامعة ولاية صكتو
المدرسة الثانوية الحكومية، رُنْجُنْ سَمْبُو - صكتو

المقدمة:

تعد الموازنة ضرباً من ضروب النقد الذي يميز الرديء من الجيد، ويظهر بها وجوه القوة والضعف في الأعمال الأدبية والعلمية، وهي مرحلة بدائية من مراحل الحكم التقويبي الجمالي بين الشعراء، وقد ظهرت مبكرة في تاريخ الأدب العربي، وبقيت تسايره على مرّ العصور، وستبقى دائماً من وسائله النقدية والتاريخية، وقد روى مؤرخوا الأدب قصة أمّ جندب وموازنتها بين امرئ القيس وعلقمة في وصف الفرس، وكان لنا بغيّة ذبياني خيمة بسوق عكاظ يجتمع فيها الشعراء، وينشدونه أشعارهم ويقوم بالتقويم والمفاضلة بينهم. ومن ثم يتبين أنّ الموازنة كانت أساساً للمفاضلة منذ العصر الجاهلي، وكانت مدرسة الخطيئة وكعب بن زهير مقابلة لمدرسة الشماخ وأخيه مزرد في صدر الإسلام كما كانت الموازنة بين شعراء الرسول وخطبائه من ناحية، وبين شعراء الوفود العربية وخطبائهم من ناحية أخرى، وأما العصر الأموي فقد كان زاخراً بالموازنة بين الفحول من الغزليين والسياسيين من الشعراء، وبين الخطباء والأدباء جميعاً. فخلّفوا ثروة نقدية قيمة على الرغم من تأثرها بالعصبية والأهواء والأمزجة. وهكذا استمرت الموازنة إلى اليوم.

اختار الباحثان قصيدتين من قصائد الشاعرين الموهوبين من شعراء القرن العشرين في مدينة صكتوليوزنا بينهما ويظهرا أماكن الاتفاق والاختلاف فهما، وتحتوي المقالة على النقاط التالية:

- التعرف بالشاعرين
- مفهوم الموازنة عند اللغويين والنقاد
- عرض القصيدتين
- الموازنة بين النصين
- الخاتمة

التعرف بالشاعرين

أحمد الصابر:

هو أحمد بن محمد الملقب بـ "مَالَمٌ تَنَعَالَى" بن أبي بكر بن أحمد، وأمه فاطمة الملقبة بـ "جَبُّو" بنت محمد. وينتمي إلى قبيلة فلانية، اشتهر بلقبه "صابر" ذلك لصبره وتوكله.^٥

كان مولده يوم الأحد سنة "١٩٣٩"م، وذلك في أوائل خلافة أمير المؤمنين أبي بكر الثالث في حارة تدعى مَرْتَرُ ظَامِيَا، وهي حارة معروفة بصناعة صبغ الثياب في مدينة صكتو. أسست منذ تأسيس مدينة صكتو بعد جهاد عثمان بن فودي، وكان مؤسسها الشيخ إسماعيل مَرْتَرُ ظَامِيَا عالما شهيرا من أنصار الشيخ عثمان بن فودي. وتقع في جنوب قصر أمير المؤمنين. أنشأ المرحوم أحمد صابر بين أسرته يتيم الأم، إذ توفيت والدته وهو في سن الطفولة، فقامت إحدى ضرائر أمه بكفالته، وإلى ذلك أشار بقوله:

نشأت يتيم الأم لكن بعونه ** كبرت بلا شيء يهيج أشجاني

أخذ مبادئ علوم الدين من والده ثم ألحقه بمعهد مالم محمد الملقب بـ "لَبُّو" مَرْتَرُ ظَامِيَا، وعلى يده ختم القرآن ثم واصل يتعلم مبادئ العلوم الدينية على يد والده، فأخذ منه "أصول الدين" للشيخ عثمان بن فودي، وكتاب مختصر الأخصري، لعبد الرحمن الأخصري، ومتن العشماوي للشيخ عبد الباري العشماوي، كليهما في الفقه المالكي.^٦

وفي سنة ١٩٦٢م، انتقل الشاعر إلى المدارس النظامية الحديثة،^٨ فالتحق بمدرسة العلوم الشرعية بكنو، وفاز بالقبول بموجب نجاحه في امتحان القبول، فاتصل خلالها بالعلماء والمشايخ من أقطار شتى في العالم العربي، وخاصة جمهورية السودان ومصر، فحصل فيها علوماً متنوعة وفنوناً مختلفة إضافة إلى ما تعلمه في المعاهد العلمية بصكتو وتخرج سنة ١٩٦٦م، محصلاً على شهادة الدراسات الإسلامية العالية بدرجة ممتازة. ثم واصل دراسته بكلية عبد الله بairo جامعة أحمد بلو زاريا، قسم اللغة العربية وقضى خلالها ثلاث سنوات ونال شهادة "الليسانس" بدرجة الامتياز، وقد ساعده الحظ فسجل في الكلية نفسها لدراسة الماجستير في الأدب العربي، وبعد انتهائه من السنة التمهيدية شرع في كتابة البحث التكميلي، وفي أثناء كتابته لهذا البحث ابتلي بحادثة وهو على طريقه للعودة من صكتو إلى كنو، فأصيب بصدمة فصارته سبباً لشلل بعض جسمه، ومع ذلك لم يتوقف عن هذا العمل، فكان لا يقدر على كتابة شيء بيده فاستعان في ذلك بزوجه "أسماء" حيث يملي عليها وهي تكتب له، كما ساعده بعض أساتذة قسم اللغة العربية، جامعة عبد الله بairo كانوا أمثال المرحوم علي نائبي سويد إلى أن أكمل بحثه سنة ١٩٧٩م، وهو لا يزال مريضاً على سريرته. توفي -رحمه الله- عام ١٩٨٤م، وذلك بعد الحادث الذي أدى إلى شلل بعض أعضائه، ومكث يتمرض في داره بكنو حوالي ثمانية أعوام، وقد لحق بالرفيق الأعلى وله من العمر خمس وأربعون سنة، ودفن في داره بمرنر ظاميا. (رحمه الله واسكنه فسيح جنانه).

الشاعر الثاني عبد الله جاتو:

هو عبد الله بن محمد الشهير بلقبه جاتو^٩، ولد في مدينة صكتو بحارة غطاطاوا، ذلك يوم الإثنين عهد أمير المؤمنين أبي بكر الثالث سنة ١٣٧١هـ الموافق ١٩٤٦م.^{١٣}

نشأ الشاعر في بيئة تهتم بالعلم والأدب حيث قام بكفالته مالم بلاري سركن غوندو بن الوزير عباس، ولنشأته في بيت الوزارة أثر في رغبته للعلم والميل إليه. لقد أقبل إلى تحصيل العلم منذ طفولته إقبالا منقطع النظير، تلقى مبادئ العلوم في الكتاتيب تعلم القرآن الكريم عند المعلم إبراهيم بن محمد بشير غطاطاوا، واستمر يتلقى العلوم عنده في الدراسات الإسلامية لمرحلة

أولية من مراحل تعلمه، ولرغبة الشاعر في الثقافة العربية الإسلامية التحق بالمدارس الحديثة، بدء بمدرسة النظامية الإسلامية بصكتو أولى المدارس الإسلامية بمدينة صكتو التي أسسها المرحوم أحمد طَنْ بَابَا صكتو، وكان ذلك سنة ١٩٦٠م مكث في هذه المدرسة لمدة أربع سنوات وحصل على الشهادة الابتدائية ثم التحق بمدرسة العلوم العربية كنو سنة ١٩٦٤م ونال شهادة الدراسات الإسلامية العليا سنة ١٩٦٨م، ثم التحق بكلية الآداب والعلوم لولاية صكتو لنيل شهادة الدبلوم في اللغة العربية والدراسات الإسلامية والهوسا، وذلك ما بين ١٩٧٢ إلى ١٩٧٥م. توفي الشاعر يوم الاثنين قبيل صلاة الظهر ١٤٢٦/٦/٣ هـ الموافق ٢٠٠٥/٨/٨م في عهد أمير المؤمنين محمد متشطو. اللهم ارحمه! واعف عنه!! واجعل الجنة مثواه!!!

مفهوم الموازنة عند اللغويين والنقاد.

أ - المفهوم اللغوي:

الْوَزْنُ رُوْزُ التَّقْلِ وَالخَفَّةِ، الْوَزْنُ ثَقُلُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ مِثْلِهِ كَأَوْزَانِ الدَّرَاهِمِ وَمِثْلَهُ الرَّزْنُ وَزَنَ الشَّيْءَ وَزَنًا وَزِنَةً. قال الجوهري أصله مؤزاً انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمعه مَوَازِينٌ وَجائزٌ أَنْ تقول للميزان الواحد بأوزانه مَوَازِينٌ قال الله تعالى {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ}، يريد نَضَعُ الميزانَ الْقِسْطَ وفي التنزيل العزيز {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وقوله تعالى {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} قال ثعلب: "إنما أرادَ مَنْ ثَقُلَ وَزْنُهُ أَوْ خَفَّ وَزْنُهُ فوضع الاسم الذي هو الميزان" ١٩.

وفي المعجم الوسيط: "وازن بين الشيئين موازنة ووزانا ساوى وعادل الشيء ساواه في الوزن وعادله وقابله وحاذاه وفلانا كافأه على فعاله توازن شيئا تساويا في الوزن، يقال هذا القول أوزن من هذا أقوى وأمكن، وأوزن القوم أوجههم" ٢٠.

ب - مفهوم الموازنة عند النقاد:

الموازنة بمعناها العام تعني "دراسة يتم من خلالها المقارنة بين عناصر الأدب، وفنونه، وعصوره، ورجاله بقصد الإيضاح والترجيح" ١ كما استعملت كلمة "الموازنة" قديما للدلالة على المجازة

والمحاكاة في الشعر والنثر على حدّ سواء، فقد ورد في كتاب الأغاني أن أبا عبيدة والأصمعي كانا يقولان عن عديّ بن زيد: "عدي بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مجراها".^{٢٢}

أما بمعناها الأخص فهي المفاضلة بين الشاعرين أو أكثر للوصول إلى حكم نقدي وهي وسيلة المفاضلة بين الشعراء و إصدار الحكم على أفضل شاعر،^{٢٣} وهي من حيث المضمون تقارب موضوعي يتصل بمضمون القصيدتين. وظاهرة أدبية قديمة في التراث العربي على مستوى الإبداع والنقد.^{٢٤} وعلى هذا ذهب بعض الباحثين والنقاد على وضع شروطها وقواعدها" يقول الدكتور علي العماري: "يرى بعض النقاد أن الموازنة لا تتحقق إلا بالاتفاق في البحر والقافية والغرض، ويرى آخرون أنه يكفي في تحقيق المعارضة بين القصيدتين أن تتفقا في الغرض والقافية".^{٢٥} بينما يرى بعض النقاد جواز الموازنة بين القصيدتين وإن اختلفتا في الوزن والغرض والفن، وعلى هذا أجروا الموازنة بين الشعراء المختلفين في العصر والطبقة، و القصيدتين المختلفين في الوزن والقافية.^{٢٦}

عرض القصيدتين

نونية أحمد الصابر في مدح أمير المؤمنين

وهي نونية الروي مطلقه القافية منسوجة على مجزوء الكامل، في مدح أمير المؤمنين أبي بكر الثالث بن عثمان بن أمير المؤمنين معاذ بن محمد بلّ بن الشيخ عثمان بن فودي، تغمده الله برحمته، وتقع في إحدى عشرة بيتا، افتتحها الشاعر يذكر شوقه للأمير المؤمنين وعبر عن تجربته الروحية، ووصف عاطفة الحب وتحدث على طريقة الشعراء الصوفية الذين اتخذوا شخصية شيوخهم موضعا لحبهم وشوقهم قائلا:

أَهْلًا وَسَهْلًا مَرْحَبًا ** بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَخَرًّا لَنَا لِمَجِيئِكَ ** يَا عُمْدَةَ لِلْمُسْلِمِينَ
رَأْسُ الْمُلُوكِ أَبُو بَكْرٍ ** وَرَبِّسْ جَمْعَ الْمُتَّقِينَ
نَلَّتْ الرِّيَاسَةَ وَالْعُلَا ** يَا كَوْكَبًا فِي الْعَابِدِينَ

بِكَ أَرْضُنَا تَتَبَخَّرُ ** فَاقَتْ بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ

رحب الشاعر بالمدوح في الأبيات السابقة ومدحه ذاكرا ما يتحلى به من الخصال المحموده مثل الكرم والسخاء وغيرها من الصفات الحميدة مستخدما ألفاظا تشعر عاطفته نحوه مما يدل على اشتياقه وحبه له، واستمر يعبر عن حبه وشوقه ينادي المسلمين أن يحمداوا الله الذي أعطاهم الأمير الرؤوف قائلا:

يَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ كُلِّ ** لُ الْحَاضِرِينَ وَغَائِبِينَ
فَلْنَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي ** يُجْزِي الْعِبَادَ الشَّاكِرِينَ
نَلْنَأَ إِمَامًا عَادِلًا ** وَإِعَانَةً الْمُسْتَضْعَفِينَ:

هكذا استمر الشاعر يبين شدة شوقه لأمير المؤمنين، وبرز ما يكن صدره من عاطفة صادقة، بأسلوب شعري قوي، ومعان دقيقة لطيفة.

و في الأخير عبر عن عواطفه وأحاسيسه المتزايدة ينادي المدوح ويحثه بأن يكون ناصرا ومستنصرا للعاجزين بأسلوب رائع ولغة سهلة وألفاظ لطيفة ممتعة قائلا:

يَا غَاهِلًا وَخَلِيفَةَ الِ ** هَادِي ضِيَاءَ الْعَارِفِينَ
كُنْ نَاصِرًا وَمُؤَاسِيًا ** مُسْتَنْصِرًا لِلْعَاجِزِينَ
عِشْ مُطْمَئِنًّا سَالِكًا ** فِي مَهْيَعِ الْمُتَّقِدِمِينَ.

ميمية عبد الله جاتو في مدح أمير المؤمنين:

نظم الشاعر عبد الله جاتو قصيدة ميمية على بحر الكامل يمدح بها أمير المؤمنين أبي بكر الثالث مينا خصاله وأخلاقه الشريفة، ومعبرا عن شوقه إليه، وتقع هذه القصيدة في اثنتين وعشرين بيتا، افتتحها يرحب أمير المؤمنين ويمدحه على تمسكه بدينه ويمجده وينسبه إلى جده الشيخ عثمان بن فودي قائلا:

أهلا أمير المؤمنين ومرحبا ** بأبي البرايا قائد الإسلام

نجل المجدد شيخنا وإمامنا ** نور الزمان ومحطم الأصنام
لا شك أنت حسن لأنك محسن ** أنت المعاذ ولات حين خصام

وبعد هذا الترحيب الجميل بدأ الشاعر يمدح أمير المؤمنين فيذكر طرفا من فضائله، مبينا أنه رفيع القدر والمتزلة، وهو كريم، ومحمود، قائلا:

يا أحسن الأملاك خلقا طيبا ** يا أعدل الأمراء والحكام
خلق كضوء البدر أو كالروض أو ** كالماء أو كالزهر في الأكمام
ومناقب لولا المهابة والتقى ** قلنا مناقب منبع الأحكام
يارئد الإسلام يا علم الهدى ** زين المحافل مرتع الأيتام
أنتم بنوا المجد المؤثل والندى ** نعم السيادة منتهى الأيام

استمر الشاعر يعبر عن مشاعره نحو الممدوح ويصور صفاته ويبين أخلاقه ويعظم أمره في صورة رائعة عجيبة قائلا:

يا طاهر الأباء والأجداد وال ** أنساب والأصلاب والأرحام
أنت الإمام المستبين لنا به ** نهج السعادة مرحبا بإمام
ولأنت أكرم مجتبي في صبوة ** قاموا برفع مكانة الإسلام
بل أنت بحر والملوك جداول ** وهم النجوم وأنت بدر التمام
أعلى الإله بكم معالم دينه ** وأزال بهجته على الإرغام
والله يعلم أن في خلفائه ** عدلا يسوس الأمر بالأحكام
جلت صفاتك أن بين شاعرا ** عنها ولو بلسان ابن هشام

وفي هذه الأبيات عبر الشاعر عن شوقه إلى الممدوح مبينا المنهج السياسي الذي سلكه الممدوح نحو الرعية وشؤون الدولة ثم وصف الرؤساء والوزراء و ذكر فضائلهم السياسية، ونسب أجدادهم الشريفة، وفضلهم عن من سواهم في الكرم والوجود.

وبعد أن قضى هذا الشوط الطويل مع أمير المؤمنين اختتم قصيدته بالدعاء و التحميد على الله تعالى قائلا:

والله يراكم ويصلح سعيكم ** ويقيكم من خلفكم وأمام
والحمد لله العلي المنعم ** هذا لنا ببداية وختام

الموازنة بين القصيدتين

المطلع:

افتتح الشاعران قصيدتهما بالترحيب، وقد وُفقا جميعا في الافتتاح حيث أنهما استهلا بما يقرع الأذان ويطرب القلوب من جميل الترحيب وحسن الاستقبال، كما يلاحظ أنهما شاعران موهوبان حيث أنهما نظما قصيدتهما بلا تكلف وبدون الوقوف والاستيقاف والبكاء و الإستبكاء على الديار أو وصف امرأة تقليدا للقصائد العربية عند الشعراء الأولين، وإنما استهلا بالدعاء للممدوح أن ينزل في الرحب والسعة حبا وكرامة يقول الشاعر أحمد صابر:

أَهْلًا وَسَهْلًا مَرْحَبًا ** بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

ويفتح الشاعر عبد الله جاتو قائلا:

أهلا أمير المؤمنين ومرحبا ** بأبي البرايا قائد الإسلام

يلاحظ الاتفاق بين الشاعرين في المطلع حيث افتتح كل واحد منهما قصيدته بمدح أمير المؤمنين بأسلوب جديد فقد سلكا في افتتاح قصيدتهما أسلوبا واحدا، حيث إنهما افتتحا قصيدتهما افتتاحا مباشرا من دون أن يقدم لها بمقدمة طلبية شائعة عند الشعراء العرب القدامى.

المقطع:

وأما من ناحية المقطع فالقصيدة الأولى تكاد تكون بترأ إذ أنها لم تشعر بالختام، والقارئ أو السامع لها ينتظر أن يستمع ما يشعره أن القصيدة قد وصلت إلى الختام عند ما يقرأ أو يسمع هذا الختام:

يَا عَاهِلًا وَخَلِيفَةَ ال ** هَادِي ضِيَاءَ الْعَارِفِينَ

كُنْ نَاصِرًا وَمُؤَامِسِيًّا ** مُسْتَنْصِرًا لِلْعَاجِزِينَ
عِشْ مُطْمَئِنًّا سَالِكًا ** فِي مَهْيَعِ الْمُتَقَدِّمِينَ

والقارئ أو السامع عندما يمر على مثل هذا المقطع لا يحس في القصيدة بالختام ويظل ينتظر
الوصول ليصل إلى الختام، ومثل هذا المقطع لا يحبذه النقاد لأنه لا يشعر بالختام.

وبالعودة إلى القصيدة الثانية يدرك أن جاتو اختتم بالدعاء والحمدلة على ما هو دأب الأفارقة
في الاختتام قصائدهم قائلا:

والله يرداكم ويصلح سعيكم ** ويقيكم من خلفكم وأمام
والحمد لله العلي المنعم ** هذا لنا ببداية وختام

وعلى كل حال فإن قصيدة جاتو لم تكن بتراء لأنه اختتمها بما يشعر الختام من ممتع الدعاء
وجميل الشكر.

الأفكار والمعاني:

اتفقت القصيدتان في الأفكار والمعاني حيث كانت معظم الأفكار والمعاني في القصيدتين معاني
وأفكار غرامية يظهر الشاعران فيها الشوق للأمير المؤمنين، كما عبر كل من الشاعرين على
تجربته الروحية، ووصف عاطفة الحب والشوق ووظف معاني المدح المألوفة عند الشعراء
المجدين من الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعدل
والعفة والشجاعة وقد وظف الشاعران أغلب هذه الصفات في قصيدتهما يقول الشاعر جاتو:

أنت الإمام المستبين لنا به ** نهج السعادة مرحبا بإمام
ولأنت أكرم مجتبي في صبوة ** قاموا برفع مكانة الإسلام
بل أنت بحر والملوك جداول ** وهم النجوم وأنت بدر التمام

ويقول الشاعر أحمد الصابر

رَأْسُ الْمُلُوكِ أَبُو بَكْرٍ ** وَرَّئِيسُ جَمْعِ الْمُتَّقِينَ
نَلْتِ الرِّيَّاسَةَ وَالْعُلَا ** يَا كَوَكْبًا فِي الْعَابِدِينَ
بِكَ أَرْضُنَا تَتَبَخَّرُ ** فَاقْتِ بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ

وبالنظر إلى هذه المعاني يدرك أن أفكار القصيدتين أفكار تراثية معروفة في الشعر ولم يمسها التجديد ولم يستقى الشاعران المعاني الأخرى الجديدة لعل جاتو فاق أستاذه حيث زاد معنى في وصف الممدوح بأنه رئيس للأمرء ويتحلى بتقوى الإله.

من حيث الألفاظ والتراكيب

لا يختلف الشاعران كثيرا في توظيف معجمهما اللفظي وقد استخدموا ألفاظا سهلة وجزلة فقل أن تجد في قصيدتهما لفظا معجميا متكلفا، بيد أن جاتو أكثر توظيفا من صاحبه لما أفاده من الأصول التراثية، يقول الشاعر أحمد صابر:

فَخَرًّا لَنَا لِمَجِيئِكَ ** يَا عُمْدَةً لِلْمُسْلِمِينَ
رَأْسُ الْمُلُوكِ أَبُو بَكْرٍ ** وَرَّئِيسُ جَمْعِ الْمُتَّقِينَ
نَلْتِ الرِّيَّاسَةَ وَالْعُلَا ** يَا كَوَكْبًا فِي الْعَابِدِينَ
بِكَ أَرْضُنَا تَتَبَخَّرُ ** فَاقْتِ بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ

يلاحظ محاولة الشاعر لاستخدام معيار الشعراء النيجيريين في وضع أفكار المدح، فقد مدح أمير المؤمنين خلقيا وخلقا وأشار إلى بعض مناقبه وسماحاته وشمائله الحميدة ولطفه بالرعية بألفاظ مألوفة الاستعمال سلسلة عذبة. يقول الشاعر عبد الله جاتو:

يَأْحَسِنُ الْأَمْلَاكُ خَلْقًا طَيِّبًا ** يَا أَعْدَلَ الْأَمْرَاءِ وَالْحُكَّامِ
خَلَقَ كَضْوَاءَ الْبَدْرِ أَوْ كَالرُّوْضِ أَوْ كَالْمَاءِ أَوْ كَالزَّهْرِ فِي الْأَكْمَامِ
وَمَنَاقِبَ لَوْلَا الْمَهَابَةُ وَالتَّقَى ** قَلْنَا مَنَاقِبَ مَنَبِعِ الْأَحْكَامِ
يَارِنْدُ الْإِسْلَامِ يَا عِلْمَ الْهَدَى ** زَيْنَ الْمَحَافِلِ مَرْتَعِ الْآيَتَامِ
أَنْتُمْ بَنَوْنَا الْمَجْدَ الْمُؤْتِلَّ وَالنَّنْدَى ** نَعْمَ السِّيَادَةَ مَنْتَهَى الْآيَامِ

وبالمقارنة بين ألفاظ الشعارين في هذه القطعة يظهر أن ألفاظ عبد الله جاتو أجزل وعاطفته أقوى ومعانيه أوسع حيث يظهر أن أحمد صابر وصف الممدوح بأوصاف تتسم بالخصوصية، وصفه بكونه عمدة الإسلام، ورأس الملوك، ورئيس جمع المتقين، وكوكباً للعابدين، وبالنظر إلى هذه الأوصاف يتبين أنها أوصاف محصورة لمن تخصصه، وهو عمدة لدين الإسلام، ورأس للمتقين، وكوكب يضيء المتقين فقط. وفي نفس الوقت نجد جاتو يصفه بكلمات أوسع وأعمق حيث لم يكتف بمجرد الوصف العادي بل استعمل أفضل التفضيل يقول يا أحسن الأملاك، يا أعدل الأمراء، كما استخدم التشبيهات قصدا لتقريب الحقائق إلى الأوهام وتوضيحها بذكر مماثلها، قائلا خلق كضوء البدر أو كالروض أو كالماء أو كالزهر في الأكمام وقد مثلت هذه التشبيهات دورا كبيرا في توضيح أوصاف الممدوح وكوّنت نجاحا باهرا في ترسيخ معاني المدح في قلوب المستمعين، وإذا رجعنا مرة ثانية لنوازن جزالة ألفاظ الشعارين وعمق معانيها نجد أن عبد الله جاتو أكثر ألفاظا وأجزل معنى حيث يختار ألفاظا أدق لمعني المقصود وأكثر عمقا، فالشاعر أحمد صابر وصف الممدوح بأنه عمدة الإسلام، بينما وصفه جاتو برائد الإسلام، فلفظة الرائد أبلغ من عمدة لأن كل رائد له أعمدته، فالشاعر أحمد صابر يقول رأس الملوك، وجاتو يقول: يا أحسن الأملاك، فأحمد صابر بالغ في وصف ممدوحه وقال هو رأس الملوك وهذا وصف جيد لأن رأس الملوك معناه رئيسهم إلا أن الرئيس قد يكون مسلوب الإرادة وقد يكون ضعيف الرأي، وجاتو مد صوته بالنداء ووظف أفضل التفضيل ليفضل ممدوحه عن جميع الملوك واختار لفظ الملك بدل من الرئيس لأن كلمة الملك أعز من كلمة الرئيس، فالشاعر أحمد صابر، قال يا كوكباً في العابدين، وجاتو يقول: خلق كضوء البدر أو كالروض أو كالماء أو كالزهر، وصف صابر ممدوحه بالكوكب في الضياء أنه يضيء للمتقين مهيع رشادهم، وجاتو وصفه بالبدر وشتان بين الكوكب والبدر.

الخيال

وأما من ناحية الخيال فإن الشاعر جاتو يفوق صاحبه في التصوير وقد جسد المعنويات أكثر منه، حيث استعمل أنواعا من التشبيهات والاستعارات ليصور صفات ممدوحه ومن حسن تصويره قوله:

خلق كضوء البدر أو كالروض أو ** كالماء أو كالزهر في الأكمام

ظهرت هذه الصورة واضحة وضوح الشمس حيث شبه خلق أمير المؤمنين بالبدر من حيث الضوء، وبالروض حيث الجود، وبالماء حيث النفع، وبالزهر في الجمال والبهجة، وكأنه يقول حلقه ظاهرة لا ينافق، وكالروض لا يبخل، وكالماء ليس بقاسي، وكالزهر حسنا وجمالا، وإيجاد مثل هذه الصورة الخيالية المليئة بالتشبيهات الرائعة دليل على مواهب الشاعر في الإبداع

وبالعودة إلى الشاعر أحمد الصابر نجد أنه خيل مثل هذه الصور قائلا:

نَلَتْ الرِّيَاسَةَ وَالْعُلَا ** يَا كَوْكَبًا فِي الْعَابِدِينَ
بِكَ أَرْضُنَا تَتَبَخَّرُ ** فَاقَتْ بِأَدَا الْمُشْرِكِينَ

شبه صابر الممدوح بالكوكب ضياء ورفعة، الصورة التي تنعكس للسامع أو القارئ هيبة الممدح ورفعة قدره، وجسد الأرض على صورة إنسان يتطرب بالبخور زينة وتجملا، ويراد به اهتزاز الأرض وافتخارها على سبيل المجاز، وبالمقارنة على ما قاله جاتو تضل به القطة في الصحراء، شبه جاتو خلقه بالبدر وبالروض وبالماء وبالزهر، وما الكوكب بالمقارنة مع البدر؟ وكذا مهمما تزين الأرض وتعطرت بالبخور لاتساوي روضة الغناء، يجري مائها حول شاطئ المزخرفة ببداغ ألوان الأزهار الخضرة الناضرة، ومثل هذه الصورة الرائعة يعبر عنها النقاد بالصورة المحسوسة^{٢٨} أو الصورة المرئية أو على كل حال ظهر إن جاتو في هذا النص يفوق صابر صورة وخيالا.

العاطفة

وإذا استقيننا الحالات الانفعالية للشاعرين نجد عاطفتها قوية وشعورهما متقارب في مدح أمير المؤمنين حيث تظهر انفعالاتهما مفسرة لأحاسيسهما و مترجمة لحالاتهما الداخلية يقول جاتو:
يأحسن الأملاك خلقا طيبا ** يأعدل الأمراء والحكام

خلق كضوء البدر أو كالروض أو ** كالماء أو كالزهر في الأكمام
ومناقب لولا المهابة والتقى ** قلنا مناقب منبع الأحكام
يارتد الإسلام يا علم الهدى ** زين المحافل مرتع الأيتام
أنتم بنوا المجد المؤئل والندى ** نعم السيادة منتهى الأيام

إن التعبيرات التي استخدمها الشاعر في هذا المقطع شاهدة على انهياج عاطفته الصادقة حيث وصف أمير المؤمنين بصفات الشرف والعدل والضوء والإشراق واللطفة والسيادة مناديا مرة بأحسن الأملاك، يأ أعدل الأمراء، مخبرا ومصورا أخرى، خلق كضوء البدر، أو كالروض، أو كالماء، أو كالزهر، في الأكمام، مستعملا صيغ التفضيل "أحسن" "أعدل" ومثل هذا النبض الوجدني يخرج من أعماق روح الحب الحقيقي الذي يكتزه ضمير الشاعر وقوله: "نعم السيادة منتهى الأيام" يكفي اشعار إخلاصه نحو ممدوحه كما يفهم كيف دفعته تلك العاطفته إلى أن ينفعل مستمرا صادقا مخلصا في التعبير.

ونجد مثل هذه العاطفة تماما عند الصابر حيث يقول:

فَخُرًّا لَنَا لِمَجِيئِكَ ** يَا عُمْدَةَ لِمُسْلِمِينَ
رَأْسُ الْمُلُوكِ أَبُو بَكْرٍ ** وَرَيْسُ جَمْعِ الْمُتَّقِينَ
نَلْتِ الرِّيَاسَةَ وَالْعُلَا ** يَا كَوَكِبًا فِي الْعَابِدِينَ
بِكَ أَرْضُنَا تَتَبَخَّرُ ** فَاقْتِ بِلَادَ الْمُشْرِكِينَ

لم تقل عاطفة صابر عن صاحبه في هذا المقطع حيث أنه أظهر اشتياقه وحبه للأمير المؤمنين، وذكر افتخاره به وبين أوصافه وصور أخلاقه، قائلا: يا عمدة الإسلام، رئيس جمع المتقين، ياكوكب العابدين، بك أرضنا تتبخر، هذه الألفاظ توحى بدلالاتها إلى شعور داخلي الذي يكمنه نفس الشاعر ويظهر صدق عاطفته في الممدوح، أضف إلى ذلك أنه قال هذه الألفاظ مناديا بأعلى صوته مستخدما "يا الندائية" التي تستخدم للنداء البعيد وذلك يومئ إلى مدى تعظيمه للممدوح وكل هذا وذلك يدل على صدق عاطفة الصابر في الإبداع والقارئ لهذه القصيدة

يدرك أن هذه العاطفة استمرت بصدقها إلى نهاية القصيدة مما يدل على أنها خرجت من عاطفة صادقة ومستمرة غير زائفة ولا مصطنعة.

الموسيقى

أ - الوزن :

وفق الشعاعان في اختيار البحر المناسب لمعاني المدح و النشر والسعة إذ الكامل يعتبر من أرحب البحور وأطلقها عنانا في استيعاب المعاني والأفكار الواسعة ويمتاز بالرصانة والجلال في النغمة، والمدح يحتاج إلى البحور الكاملة ليصب الشاعر فيها صفات ممدوحه وأشواقه وحنانه و يتسعه في إبراز مكنونه من وزن ذي إيقاع صوتي رنان ونغمات موسيقية تثير العاطفة وتحرك الوجدان، إلا أن الملاحظ أن أحمد الصابر استخدم الكامل مجزوء ولم يستعمله تام يقول :

أَهْلًا وَسَهْلًا مَرْحَبًا ** بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَهْلُنَّ وَسَهْلُ الْمَرْحَبِينَ ** بِكَ يَا أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِينَ
مُتَفَاعِلُنْ \ مُتَفَاعِلُنْ ** مُتَفَاعِلُنْ \ مُتَفَاعِلُنْ

يلاحظ عروضته صحيحة وضره أيضا صحيح، كما يلاحظ أنه حدث الإضمار في أكثر تفاعيله. وجاتو استخدم الكامل تام يقول:

أَهْلًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَرْحَبًا ** بِأَبِي الْبَرَاءِ قَائِدِ الْإِسْلَامِ
أَهْلُنَّ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِينَ \ نَوْمَرْحَبِينَ ** بِأَبْلِ بَرَاءِ \ يَا قَائِدِ الْإِسْلَامِي
مُتَفَاعِلُنْ \ مُتَفَاعِلُنْ \ مُتَفَاعِلُنْ \ مُتَفَاعِلُنْ ** مُتَفَاعِلُنْ \ مُتَفَاعِلُنْ \ مُتَفَاعِلُنْ \ مُتَفَاعِلُنْ

ويلاحظ عروضته صحيحة وضره مقطوع مضمّر، كما يلاحظ أنه حدث الإضمار في أكثر تفاعيله، وقد أصاب الشعاعان في اختارهما بحر الكامل في المدح، لأن المدح من الموضوعات التي تحتاج إلى البحور الكاملة طويلة الأوزان ليصبا فيها صفات ممدوحهما وأشواقهما وحنانهما و يتسعهما في إبراز مكنونهما لما ينطوي إليه من وزن ذي إيقاع صوتي رنان ونغمات موسيقية تثير العواطف وتحرك الوجدان. ولذا استخدامه تام أنسب من استعماله مجزوء لأن معاني المدح تحتاج إلى طول التنفس وناسب أن يستخدم تام.^{٣٦}

استخدم كل من الشاعرين قافية مطلقة مردوفة موصولة بمد اختار الشاعر أحمد صابر حرف النون رويًا ليختم به قافيته، وهو حرف مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة والقوة والضعف مستفل منفتح مذلق أغن مرقق وهي أمكن في الغنة من الميم لقربها من الخيشوم^{٣٥} وقد وفق في اختيار الروي حيث يكون أنسب في المدح من بقية الحروف، وقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أن النون من أحسن الحروف جمالًا ورونقًا.

واختار جاتو حرف الميم وهو حرف مجهور بين الشدة والرخاوة مستفل منفتح مذلق أغن متوسط مرقق؛ وهو أيضًا مناسب وإن كان دون النون في الرقة والنغمة .

وكلا الحرفين مناسبين في أداء صوت مناسب لمعني المدح إلا أن النون أرق وأغن من الميم في إيصال معنى الرحمة وفي إثارة رنين لقربه من الخيشوم أضف إلى ذلك أن جاتو واصل الروي بالياء، بينما واصله الشاعر صابر بألف، وهو حرف مجهور رخو منفتح مستفل مصمت مدي معتل مرقق متوسط، ومدّه أطول من المد بياء إلا أن جاتو أردف الروي ألفًا، وصابر أردفه ياء، والياء أحسن من الألف.^{٣٥}

الموسيقى الداخلية

وفي جانب الموسيقى الداخلية موسيقى العواطف والمشاعر التي توحى بأجراس الرنين المتناسبة فإن الشاعرين، يمتلكان قدرة موسيقية متنوعة استطاعا بها أن يستخدموا ألفاظًا موحية بدلالات ذات معان عميقة تستثير الوجدان وتريح النفوس، يقول أحمد الصابر :

أَهْلًا وَسَهْلًا مَرْحَبًا ** بِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَخَرًّا لَنَا لِمَجِيئِكَ ** يَا عُمْدَةَ لِلْمُسْلِمِينَ
نَلَّتْ الرِّيَاسَةَ وَالْعُلَا ** يَا كَوَكَبًا فِي الْعَابِدِينَ
يَا مَغْشَرَ الإِسْلَامِ كُلِّ ** لِ الْحَاضِرِينَ وَغَائِبِينَ

إنّ ترديد اللفظ يحمل معنًى معيناً في سياق النظم ؛ لإيصال قوة النغم الإيقاعي إلى السامع فتكرار "يا" الندائية في هذه القطعة، يا أمير، يا عمدة، يا كوكب، يا معشر يمنح للنص حلاوة موسيقية ويحقق نغمات موسيقية تلتذ نفس السامع بها لما فيها من إيقاعات ترتاح بها النفس عند الإصغاء. أضف إلى ذلك الطباق الايجابي بين رياضة والعبادة وبين الحاضرين والغائبين، ومثل هذه الموسيقى تمنح للنص طلاوة ورطانة.

و مثل هذه الظاهرة عند الشاعر عبد الله جاتو قوله:

يا أحسن الأملاك خلقا طيباً ** يا أعدل الأمراء والحكام
خلق كضوء البدر أو كالروض أو ** كالماء أو كالزهر في الأكمام
ومناقب لولا المهابة والتقى ** قلنا مناقب منبع الأحكام
يارئد الإسلام يا علم الهدى ** زين المحافل مرتع الأيتام

وهذه القطعة لم تقل عن سابقتها عند الصابر من حيث الصوت والرنين لتكرار الياء الندائية وتوالي الفواصل "يا أحسن، يا أعدل، يا رائد، يا علم،" كما يلاحظ توافق الفواصل في قوله: "يارئد الإسلام، يا علم الهدى، زين المحافل مرتع الأيتام،" ونجد تجانس الكلمات وتتابع الأجراس في قوله: خلق كضوء البدر، أو كالروض، أو كالماء، أو كالزهر، في الأكمام"، وهكذا ظهر في تكوين الحروف الصوتية المتنوعة بين الهمس والجهر والشدة والرخاوة وبين توالي حروف العطف والتشبيهات التي تكسب النص إيقاعاً هدياً.

و خلاصة القول يكاد الشاعران يتفقان في استعمال الكلمات ذات إيقاع رنان ونغمات موسيقي مطرب.

الخاتمة:

تناولت المقالة في الصفحات السالفة مقارنة بين الشاعرين البارعين من شعراء القرن العشرين وهما أحمد الصابر، وعبد الله جاتو، من خلال قصيدتهما في مدح أمير المؤمنين أبي بكر الثالث

والقصيدة الأولى على مجزوء الكامل وتقع في إحدى عشرة بيتا والثانية في تام الكامل وتقع في اثنتين وعشرين بيتا ومن خلال هذه الدراسة استنتج الباحثان النتائج التالية:

- إن الشاعرين من شعراء المحليين وقد عاشا في عصر واحد وبيئة واحدة إلا أن الصابر يكبر جاتو بسبع سنوات إذ أنه من مواليد ١٩٣٩ وجاتو من مواليد ١٩٤٦.

- إن القصيدتين مدحيتين قيلتا في مدح أمير المؤمنين أبي بكر الثالث، الأولى نونية، والثانية ميمية.

- كلا الشاعرين يتمتعان بقريض شعري ممتاز لفظا ومعنا ووزنا. إلا أن جاتو يفوق صاحبه صورة وخيالا.

- تبين أن أدب نيجيري، له آثاره ومكانته ومميزاته كما تبين أن الشاعر النيجيري متأثر بالشعر العربي تأثيرا بينا، من حيث الشكل والمضمون .

الهوامش والمراجع

- ١ الأصفهاني، أبو الفرج الأغاني، دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية بدون ذكر التاريخ، ص: ١٢٨.
- ٢ الأصفهاني، أبو الفرج، المرجع السابق، نفس الصفحة.
- ٣ الجمعي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاکر، دار المدني - جدة بدون ذكر التاريخ، ص: ٥٨.
- ٤ القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدائها، نسخة إلكترونية موقعها <http://www.alwarraq.com> ص: ٢٩٦.
- ٥ أويس إبراهيم، ديوان المرحوم أحمد صابر جمعا وتحقيقا، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية عام ٢٠١١ ص: ١٥
- ٦ - أويس إبراهيم، ديوان المرحوم أحمد صابر جمعا. وتحقيقا، المرجع السابق، نفس الصفحة.
- ٧ - أويس إبراهيم، المرجع السابق، ص: ٢٠.
- ٨ - المرجع السابق، ص: ٢٥.

- ٩ - محمد حبيب محمد، "الأستاذ الدكتور" شخصية المرحوم أحمد صابر وبعض إنتاجاته الشعرية"، مقالة مقدمة إلى الندوة حول الأدب الإسلامي، إلورن، ولاية كوارا نيجيريا، ص: ٦
- ١٠ - محمد حبيب محمد، المرجع السابق، مع التصرف، ص: ٧
- ١١ - أويس إبراهيم، ديوان المرحوم أحمد صابر جمعا وتحقيقا، المرجع السابق، ص: ٣٥
- ١٢ - لَقَبَ بِجَاتُو لصفرة جسمه.
- ١٣ - ناصر أحمد صكتو، "الدكتور" مقابلة مع الأستاذ عيسى الطاهر، مدير مدرسة معهد العلم التنظري الإسلامية، بداره، بتاريخ ٢٣/٥/٢٠٠٢م.
- ١٤ - محسن علي، فن الرثاء عند عبد الله جاتو، بحث مقدم لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، بجامعة عثمان بن فودي صكتو ٢٠٠٦م، ص: ١٨
- ١٥ - ابن منظور، الأفرقي المصري، محمد بن مكرم لسان العرب الجزء الثاني عشرة، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت، بدون ذكر التاريخ، ص: ٤٤٦
- ١٦ - سورة الأنبياء الآية: ٤٧
- ١٧ - سورة الأعراف الآية: ٨
- ١٨ - سورة القارعة الآية: ٨
- ١٩ - الأفرقي المصري، محمد بن مكرم بن منظور، المرجع السابق، ص: ١٦٧.
- ٢٠ - إبراهيم مصطفى وآخرون "المعجم الوسيط" تحقيق مجمع اللغة العربية القاهرة، دار الدعوة، بدون ذكر التاريخ، ص: ١٠٣٠
- ٢١ - الأصفهاني أبو الفرج، المرجع السابق، ص: ٧٥
- ٢٢ - الأصفهاني أبو الفرج، المرجع السابق، ص: ٨٩.
- ٢٣ - علي محمد حسن العماري، "الدكتور"، التاريخ الأدبي للعصرين العثماني والحديث، الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٨ م ص: ١٧٨ - ١٧٩
- ٢٤ - طه وادي، "الدكتور" شعر شوقي الغنائي والمسرحي، الطبعة الثانية (دار المعارف، ١٩٨١ م) ص: ٤٧.
- ٢٥ - علي محمد حسن العماري، "الدكتور"، المرجع السابق، مع التصرف ص: ١٧٨
- ٢٦ - فائز طه عمر "الدكتور" وشركائه، النقد الأدبي للصف السادس الأدبي، الطبعة الخامسة، عام ٢٠١٥ نسخة إلكترونية بشكل pdf موقعها www.manahj.edu.iq ص: ١١
- ٢٧ - القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدائها، المرجع السابق، ص: ١١٢
- ٢٨ - سيد القطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، بيروت، ص: ٨٧

- ٢٩ أحمد أمين، النقد الأدبي، الطبعة، الخامسة، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ١٩٨٢ م ص: ٨٧
- ٣٠ ابن الجني كتاب العروض، المكتبة العصرية، الطبعة الثالثة سنة، ١٤٢٢هـ ص: ٩١
- ٣١ ابن الجني، كتاب العروض، المرجع السابق ص: ٩١
- ٣٢ مأمون عبد الحليم وجيه "الدكتور" العروض والقافية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع الطبعة الأولى، ١٤٢٨ ص: ٩٧
- ٣٣ أبو الحسن، علي بن محمد بن سالم النوري الصفاقسي، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين المكتبة الشاملة الإصدار الثالث، ص: ٢٩
- ٣٤ أبو الحسن النوري الصفاقسي، علي بن محمد بن سالم، المرجع السابق، ص: ٤٥
- ٣٥ أبو الحسن النوري الصفاقسي، علي بن محمد بن سالم، ص: ٤٠